قراءة في الفسيفساء اللبنانيـــة

مـازن البنـدك

من الامور الصعبة قراءة فسيفساء السياسة اللبنانية في المرحلة الحالية . فهي اقرب شيء الى كلمات متقاطعة ولكن بلغات مختلفة ، فمسرح السياسة اللبنانية يشهد تفاعل الحقائق اللبنانية مع الحقائق الفلسطينية مع التيارات والمداخلات العربية والدولية . فلبنان يعيش صراع القوى المتناقضة في داخله ، والوجود الفلسطيني بكل نتائجه والذي اصبح احدى الحقائق السياسية الجديدة ، وعلى ارضه تتداخل وتتجابه القوى الدولية والعربية التي تحاول كل منها ان تدفع الرياح الى قلاعها المتعارضة مع الاخرى ، ولبنان بعد ذلك دولة مواجهة مع اسرائيل بحكم كونها على حدود اسرائيل ، حتى ولو ارادت ان تكون خارج المواجهة الساخنـــة .

اذن ، نحن في لبنان نواجه وضعا مركبا وبالغ التعقيد ، ويكون من باب التبسيط الغبي محاولة تحميل احد عناصر الوضع اكثر مما يحتمل ، فعناصر الازمة او ازمـــة المأساة الحالية متشابكة ، متداخلة ، مؤثرة ، ومتأثرة ، وهي في مجملها تضع لبنان على مفرق طرق وتجعل من لبنان ساحة مجابهة ساخنة في الشرق الاوسط. من اين نبدأ ؟ من الاساس ، وهو الوضع اللبناني الداخلي ، وهو وضع مثالي للتفاعل مع المؤثرات والقوى الاخرى ، ثم الوضع الفلسطيني في لبنان ، ثم الصراع في وعلى الشرق الاوسط، وبعد اتفاقية سيناء، ثم ... ثم ... اين هي الطريق السالكة والامنة ؟!

١ ــ لبنان : برميل البارود الذي ينتظر عود الثقاب !

ينفرد لبنان بين الاقطار العربية جميعا بانه الوحيد الذي لم يتعرض بناؤه السياسي وبنيته الاجتماعية للتغيير او التطور منذ الاستقلال الى اليوم ، اي حوالي ثلاثين سنة . ففي خلال هذه الفترة شهد الوطن العربي من الكويت الى المغرب هزات سياسيـــة واجتماعية عنيفة غيرت جزءا ليس بسيطا من معالمه . فقد سقطت طبقة الافندية والبكوات في مصر وسوريا والعراق ، وسقطت الملكية في مصر والعراق، وانتزعت اقطار الشمال الافريقي استقلالها ، وفي الجزائر انتزعته بدماء مليون شهيد ، ودول الخليج والجزيرة شهدت ثورة نفطية نقلت حياة المواطنين كما لم تفعل ثورة اخرى في التاريخ ، ولم تبق ارض عربية لم تنلها يد التغيير ولم تتزحزح فيها الامتيازات السابقة للطبقات الحاكمة والعليا . وفي بعض الاقطار العربية اندثرت تماما الطبقات السابقة ، كما هو الحال في سوريا ومصر والعراق وليبيا واليمن بشقيه والجزائر وتونس ، وفي البقيـــة تراجعت الطبقات التقليدية ، واخيرا في السعودية تألفت وزارة جديدة معظم اعضائها من الشعب وليس من الاسرة المالكة . وفي الكويت نشاهد نموذجا فريدا للمشاركة فـــي السلطة بين القوى التقليدية والقوى الجديدة في ظل نظام برلماني .

الا في لبنان . فرغم الواجهات البراقة في الحمراء والكازينو والفنادق الفاخرة فقـــد احتفظت الطبقات العليا في المجتمع اللبناني بامتيازاتها واتيحت للفئات المالية فـــرص